# علاقة النقد الأدبي بالعلوم الإنسانية

## ومدى تأثره بها

دكتور/ على عبد الخالق على حسن

التعبير عن تجربة شعورية فى صور موحية ومؤثرة هو غاية الفنون الجميلة التى تنحصر فى التصوير ، ومحاولة التأثير على الوجدان . أعنى تصوير المشاعر ، والعواطف والوجدانات التى تخالج النفس الانسانية ، ثم التأثير فيمن يتملى النتاج الأدبى والفنى حتى يشارك المنتج احساسه ، ويعيد تمثيل التجربة التى عاناها ·

والاختلاف بين هذه الفنون ينحصر فى وسيلة التعبير وطريقته . ففى الموسيقى أصوات ومسافات ، وفى التصوير ألوان وخطوط وتنسيق فيما بينها ، وفى النقش أوضاع ومادة وأحجام وملامح ، أما فى الأدب فوسيلته التعبيرية هى : ألفاظ وعبارات وعلاقات بين الفقر والجمل ·

ولما كانت هذه الفنون ترجع ، أو ترتد الى أصل واحد وهو مخاصة الوجدان ، ولها غرض واحد هو التأثير فقد قامت بعض الأبحاث فيها على أساس وضع قواعد عامة تجمعها بوصفها احدى مباحث الجمال ·

والعلوم الانسانية هى تلك التى يكون موضوعها الانسان نفسه من حيث علاقته بالحياة ، ومدى تأثيره عليها ، أو تأثره بها · والعلوم الانسانية مهمتها تفسير الظواهر العامة التى لها ارتباط بالانسان سواء أكان ارتباطا مباشرا . أو غير مباشر ، ومن هذه العلوم : علم الاجتماع الانسانى والتاريخ والفلسفة والنفس والجمال ·

مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الرابع، مطبعة الأمانة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

والأدب احدى المظاهر الانسانية . لأنه تعبير مصور للطبيعة والحياة ومترجم صادق عما يجول بنفس منشئه ، فهو يفصـــح عما دق وخفى من أسرار النفس الانسانية ، وما يمتزج بها من أحاسيس ومشاعر .

ونحن لا نعدم صلة بهذا الاعتداد تقوم بين النقد والعلوم الانســـانية وترتبط بينهما . لأن الأدب فى اتجاهاته المختلفة هو موضوع النقد . فالناقد يحتاج اذن الى النظر فى مثل هذه العلوم . أعنى علوم الاجتماع والتاريخ والنفس والأخلاق والجمال وغيرها مما يكون متعلقا بالانسان أو مفسرا لنزعاته وميوله .

وحاجة النقاد لهذه العلوم تجعل الناقد ملما أيما الملم بسمات العمل الأدبى الفنية ، وارتباطها بالعوامل الثابتة فى داخل الأديب فتحقق الصلة الى حد بعيد بين الأدب ومنشئه وهذه الصلة تفيدنا فى الحكم على العمـل الأدبى ، ومدى صلته بصاحبه ، ومدى اصالته فيه ، ومدى صدقه الفنى ، من كذبه ، وتتأكد هذه القيمة فى شرح الأعمال الأدبية ، وتفسير ظواهرها .

ولكن الى أى مدى تكون ثقافة الناقد بتلك العلوم ؟ والى أى مدى يكون اتصاله بها ، وتعمقه فيها ؟

الواقع أن النقد وان كان متصلا بتلك العلوم ، ومحتاجا اليها فهى حاجة بقدر ، لأنها عوامل مساعدة لفهم النص ، فالحرص عليها لا يجب أن يصل الى حد الاسراف فيها والا أصبح النقد اسير قوانينها ، وتعقيداتها وخرج عن مجاله فى تفسير العمل الفنى ، كما أن عدم الاهتمام بهذه العلوم لا ينبغى أن يصل بنا الى حد التفريط فيها ، أو تركها كلية والا فقد النقد جزءا هاما يفسر له العمل الأدبى . ويدل على ظواهر التأثر ، والتأثير فيه .

فالذى « نستطيع أن نأخذه من هذه العلوم سواء فى ذلك العلـوم الطبيعية أو النفسـية أو التاريخية أو غيرها ـ دون اخلال بالنقد ـ هو

روحها ، أما أن نأخذ عنها مبادىء وآراء ، وقوانين فهذا خطـــأ بل كارثة على الأدب » (١) ٠

وعلى ذلك فان تحقيق الغاية المرجوة من العملية النقدية لا يتم الا بالنظر لهذه العلوم بقدر ما يسعف على الشرح والتفسير ، وما يعين على ابراز الخصائص الفنية ، والمساعدة فى ربط النتاج الأدبى بصاحبه ٠

ولو نظرنا الى العلوم الانسانية فسنجد أنها غير ثابتة ، ولا هى واقفة عنـــد غاية معينة . فهى اما فى تطور أو تداخل ، واما فى تبديل وتغيير فهى غير مستقرة . وتصبح مظنة للتغيير فلا تصح أن تكون وسيلة مؤكده كل التاكد للتفسير . أو للاستدلال على ظاهرة ما ٠

ولا شك أن قواعد النقد الأدبى على امتداد العصـــور قد تأثرت بالآراء الفلسفية او العلمية المحيطة بالناقد الفنى ٠ فقد بدأ النقد اليونانى متأثرا بالفلسفة اليونانية . ومال كبير من النقاد الى اقامة قواعد النقد على أسس فلسفية حينما كانت النظريات الفلسفية هى المسيطر على التفكير البشرى . فقد كان اتجاه ( أفلاطون ) فى النقد ومن بعده ( أرسطو ) اتجاها متأثرا الى حد كبير بالنظريات الفلسفية . ويبقى الأمر كذلك حتى عصر النهضة العلمية لما بدأ العلم التجريبى يأخذ مكانته فى الفلســـفة النظرية ، وزاد حينما تشعبت فروعه ما بين الاتجاه الطبيعى ، والاتجـاه النفسى ، والاتجـاه ( البيولوجى ) فمال نقاد الأدب الى التـأثر بهـذه التيارات ٠

وقد كثرت النظريات ، وتعددت الآراء نحو كثير من العلوم ، الا أنها لم تصل الى تحديد مقنع فى كثير من الاتجاهات ، فعلم الجمال ـ وهو أحد

---

(١) فى الميزان الجديد ٠ د٠ محمد مندور ص ١٦٤ ٠

العلوم المؤثرة فى قواعد النقـد ، ونظرياته ـ لم ينته الى تحـــديد دقيق لمعنى الجمال أو الجميل ، لأن ذلك يقوم على نظريات فلسفية مختلفة ٠

وقد رأى فريق من النقاد أنه الأوفق وضع مناهج النقد على أســس فلسفية وبخاصة نظريات الجمال ، بينما يرى بعضهم أن تقام قواعد النقد على أسس علمية وبخاصة علم النفس وكلا الرأيين مفيد لولا الاسراف فيه والغلـــو ٠

ويرى الدكتور عبد الرحمن عثمان ن الدراسة النفسية أقرب العلوم صلة بالنقد الأدبى ، فدراسة الجوانب النفسية للأديب على عدى علم النفس يرشدنا الى النزعات التى تتجـــاذب نفس الاديب وتهدينـــا الى خلجاته العاطفية : « وقد تفتح آذاننا للهمس الذى يدور فى خاطره ، ويجمجم فى وجدانه ، وبهذا نكون على حافة النبع بحيث نسمع جولان الماء فى المسارب الخفية ، أو نبصر انسياله فى مجاريه الدقيقة حتى اذا انبجس النبع ، وتحدر ماؤه عرفنا سر عذوبته ان كان عذبا ، وعلة كدرته ان لم يستسغه الذوق ، أو انصرف عنه الوراد » (١) ٠

وقد جرت محاولات مختلفة لدى الكتاب العرب لاخضاع النقد للعلوم الانسانية بدءا من ( قدامة بن جعفر ) (٢) الذى حاول أن يقيم قـــواعد النقد على أسس من الفلسفة ، والتأثر بالمنطق فى كتابه ( نقد الشعر ) فقد قسم الشعر الى ثمانية أضرب وهو تقسيم خاضع للمنطق كما انه حاول أن يقيم قواعد الجمال على أسس عقلية وفلسفية ، الا أنها كانت بداية لم يكتب لها النجاح ٠

---

(١) انظر : د٠ عبد الرحمن عثمان : معالم النقد الادبى والمراجع المبينة فى ط ٢ سنة ١٩٦٣ القاهرة ٠ حلمى المنياوى ٠

(٢) توفى سنة ٣١٠ هـ ٠

أما عبد القاهر الجرجانى (١) فقد حاول أن يدخل ما انتهى بعد ذلك الى النزعة النفسية فى النقد بطريقة أكثر تنظيما وكاد أن يكتب لهذا الاتجاه النجاح لو أنه توبع بمن جاء بعده . فقد كانت نزته بالقياس لغيرة أكثر تقدما فى هذا النهج مع قصر مدته ٠

وبقى الأمر كما هو حتى كان عصر النهضة الحديثة فى أوربا وتأثر النقد بالتيارات المستحدثة فحذا النقد العربى حذو الغرب فى استلهام النظريات الجديدة التى بنيت عليها مناهج النقد الحديث ٠

( أ ) فقد تاثر الدكتور طه حسين ـ فى كتابه « فى الأدب الجاهلى »(٢) بفلسفة « ديكارت » فى منهج بحثه للشعر الجاهلى وشعرائه وقد قال فى منهج بحثه عن الشعر الجاهلى ٠

« أريد أن أقول أنى سأسلك فى هـــذا النحو من البحث مســـلك المحدثين من أصحاب العلم ، والفلسفة ٠ أريد أن أصطنع فى هذا الأدب هذا المنهج الفلسفى الذى استحدثه ( ديكارت ) للبحث عن حقائق الأشياء فى أول هذا العصر الحديث ، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هو أن يتجرد الباحث من كل شىء كان يعلمه من قبـــل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالى الذهن مما قيل فيه خلوا تاما ٠ والناس جميعا يعلمون أن هذا المنهج الذى سيخط عليه أنصار القديم فى الدين والفلسفة يوم ظهر قد كان من أخصب المناهج وأقواها ، وأحســنها أثرا وانه قد جدد العلم ، والفلسفة تجديدا ، وأنه قد غير مذاهب الأدباء فى أدبهم ، والفنانين فى فنونهم وأنه هو الطابع الذى يمتاز به هذا العصر الحديث »٠

---

(١) توفى سنة ٤٧١ هـ ٠

(٢) ثم سنة ١٩٢٦ باسم ( فى الشعر الجاهلى ) وفى سنة ١٩٢٧ طبع وغير بحذف فصل واضافة فصل وسماه ( فى الأدب الجاهلى ) ٠

«فلنصنع هـــذا المنهج حين نريد ان نتناول أدبنا العربى القـديم وتاريخه بالبحث ، والاستقصاء ، ولنستقبل هذا الأدب ، وتاريخه ، وقد برأنا أنفسنا من كل ما قيل فيهما من قبل ، وخلصنا من كل هذه الأغلال الكثيرة الثقيلة التى تأخذ أيدينا وأرجلنا ورؤوسنا فتحول بيننا ، وبين الحركة الجسـمية الحرة ، وتحـــول بيننـــا ، وبين الحـــركة العقلية الحرة أيضا » (١) ٠

(ب) وظهر للأستاذ العقاد كتاب « ابن الرومى حياته من شـعره » وقد نهج فيه منهج البحث التاريخى ( والبيواوجى ) و ( السيكلوجى ) ٠

وقد قال فى مقدمته « هذه ترجمة ، وليست بترجمة ، لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فاحرى بها أن تسمى صورة حياة ، ولأن تكون ترجم ابن الرومى صورة خير من أن تكون قصة ، لان ترجمته لا تخرج لنا قصة نادرة بين قصص الواقع أو الخيال ، ولكننا اذا نظرنا فى ديوانه وجدنا مرآة صادقة ، ووجدنا فى المرآة صورة ناطقة لا نظير لها فيما نعلم من دواوين الشعراء ، وتلك مزية تستحق من أجلها ان يكتب فيها كتاب » (٢) ٠

(ج) كما ظهر كتاب « فجر الاســـلام » لأحد أمين متأثر بطريقه التاريخية ، كما ظهر كتاب ( بشار بن برد ) للمازنى ( ابراهيم عبد القادر ) متأثرا بطريقة الشك والتجرد من كل ما قيل عنه سابقا ٠

( د ) ومن هذه الكتب ( أبو نواس الحسن بن هانى ) للعقاد ، فقد

---

(١) د٠ طه حسين فى الأدب الجاهلى ص ٧٦ ــ ٦٨ طبع دار المعارف ١٩٦٢ ٠

(٢) العقاد ( عباس محمود ) ابن الرومى حياته من شـــعره ص ٦ سنة ١٩٦٩ ٠

جرى فيه على منهج التحليل النفسى ، وقال فى ثنايا البحث « ... كان ابو نواس اذن ( شخصية نموذجية ) ، ولكنها ليست هى الشخصية التى شاع بها ذكره بين المطلعين على الأدب الفصيح ، وهى الشخصية التى تقوم على الحيلة والجواب السريع » .

« أيسر ما يقال فيه انه اباحى .. يستحل المحرمات ، ويخالف الدين والعرف والطبيعة .. وأيسر ما يقال فيه انه اباحى متهتك يظهر أمره ولا يتكلف لاخفائه ، لأنه كان يقارف المنكرات ، ويعلنها ولايحفل بمداراتها .. هذه حالة من حالات التهتك والمجون .

أما الحالة الأخرى فهى نقيض هذه الحالة .. حالة من ينسى شخصيته ولا يراها أهلا للذكر ، وحالة من يقرر شخصيته ويتعمد الجهر بالمخالفة .. والواقع أن الاغاظة والظهور هما بيت القصيد ، وأن صاحب هذا المزاج قد يهمه أن يغيظ جمهرة الناس بالمخالفة ، وان كانت مخالفة الى التقوى والصالح » .

« ولو كانت الاباحية النواسية مقصورة على ما اشتهر به أبو نواس ادمان السكر ، وايثار الذكران على الاناث لما فسرتها ، ولا فسرت بعضنا منها ، هذه الظاهرة النفسية الواضحة : ظاهرة التحدى بالاباحية المتهتكة ، فان صاحب الاباحية المقصورة على ادمان السكر ، وايثار الذكران على الاناث قد يخجل منها ، ويستترها ، ويجتهد اجتهاده للخلاص منها » .

« وانما تفسر آفات أبى نواس جميعا ظاهرة نفسية اخرى هى المرجسية وفيها تفسير لآفته الكبرى ، وتفسير للآفات الصغرى التى تتفرع عنها هذه المرجسية شذوذ دقيق يؤدى الى ضروب شتى من الشذوذ فى غرائز الجنس ، وبواعث الأخلاق » (١) .

---

(١) المرجع نفسه ٢٥ ـ ٢٧ .

« وخلاصة القول فى النرجسية أن أبا نواس كان من الشواذ فى تكوينه الجنسى ولكن شذوذه غير الشذوذ الذى اشتهر به . وهو ايثاره فى الذكر انعلى الاناث . ولابد من التفرقة بين الشذوذين ، لان النرجسية تفسر أطوار أبى نواس جميعا ، والشذوذ الآخر لا يفسرها ، وهذا عدا ضرورة التفرقة بين الشذوذين للكشف عن بواطن السريرة . وفهم الأخلاق الخاصة ، والأخلاق الاجتماعية » .

« فغرام أبى نواس بالجنسين ، وانحرافه مع بنى جنسه فاعلا ، ومنفعلا أمر لا يفسره ايثار الذكران على الاناث . ولكن النرجسية تفسره كل التفسير من جميع نواحيه والنرجسية تفسر الولع بالمجاهرة الاباحية ، ولكن الشذوذ الآخر لا يفسرها . لانه قلما يغرى صاحبه بالمجاهره . وكثيرا ما يوحى اليه بالتخفى والاستتار .. » .

« وقد أسلفنا أن الشاعر انعصرى ( أوسكار وايلد ) كبير الشبه بابى نواس فى لوازم النرجسية . وهما مختلفان بعدها فى كل شىء . فى الزمن والموطن واللغة . والدين والطبقة الاجتماعية .. ففى ( أوسكار وايلد ) تلقى الملامح الأنثوية ، وخصل الشعر المرسلة ، والصوت الذى تماذجه الرخاوه » ..

« ومما يستلفت النظر غرام أوسكار وايلد بقصة نرجس فى الأساطير الاغريقية قبل أن يشتق منها النفسيون اصطلاحاتهم على عادات تلك الآفة الجنسية أو النفسية . فمن أحاديثه مع ( أندريه جيد ) نه قال له ذات يوم بغير تمهيد : انك تصغى بعينيك ، ولهذا أقص عليه القصة التالية :

( لما مات نرجس أصبحت بركته كاسا من الدمع المر بعد أن [illegible] الماء الزلال ، وأقبلت عليها الأزهار باكية عسى أن تغنى لها . وتغريها . غن لها حين رأين هذا .. لاعجب أن تحزنى حزنك على نرجس فما كان اجمله ، واحلاه ، فاجابت البركه : أو كان نرجس جميلا حلوا كما تصفنه ؟ قالت

الازهار ومن ذا الذى يعرف جماله ، ان لم تعرفيه ؟ لقد كان يمر بنا ولا ينظر الينا، ولكنه كان ينحنى عليك، ويدمن النظر اليك. وفى مرآة مائك الجميل كان يستجلى بعينيه جماله وهو فى تلك المرآة ، وعادت البركة تقول : ولكننى أحببت نرجسا اذ كان ينحنى على حافتى ، وينـــظر الى ، لاننى كنت أنظر الى عينيه فأرى جمالى متجليا فى تينك العينين ) .. هذه النسخة العصرية من أبى نواس وتمامها أن ( أوسـكار وايلد ) كان يتصل بالجنسين وكان متزوجا ، وله لدان » (١) .

(هـ) ومن هذه الدراسات كذلك « نفســية أبى نواس » للدكتور محمد النويهى ففى هذا الكتاب يرى الدكتور النويهى الصلة تامة بين العمل الأدبى ونفسية صاحبه ، ويربط بين العمل الأدبى وصاحبه والمؤثرات النفسية والاجتماعية فيه .

يتضح هذا جليا فى وقوفه أمام أبيات أبى نواس :

قطر بل مربعى ، ولى بقــرى الكــ ـــرخ مصـــيف ، وأمى العنب
ترضـــعنى درهـــا ، وتلحقنى بظلهـــا ، والهجـــير يلتهب
فقمت أحبو الى الرضـــاع كما تحامل الطفل ، مسـه السغب

وقد رأى الدكتور النويهى فى هذه الأبيات دلالة على أن أبا نواس قــد وجد فى الخمر تعريضا عن أمه التى حرم حنانها فى وقت مبكر من طفولته حينما تركته ، وتزوجت غير أبيه ، فهو يرى أن مثل هذا الشــعر مرآة لأحاسيس أبى نواس ، وينظر الى هــذه الأبيات نظرة تربطها بنفســية أبى نواس والعوامل التى أحاطت به .

وعلى جانب آخر نجد من الباحثين من يعزلون العمل الأدبى لاعن سياقه

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٥ ـ ٣٨ .

الاجتماعى فحسب . بل يعزلونه كذلك عن نفسية صاحبه وشـــخصيته . ومنهم الدكتور مصطفى ناصف أستاذ الأدب بجامعة عين شمس (١) ، فهو يرى وجوب عزل الأدب عن حياة صاحبه بكل أحداثها . وتجاربها وصراعاتها ورغباتها . وأغراضها فنحن ـ فى نظره ـ لا يهمنا فى قليل ، أو كثير ماذا كان غرض الشاعر من شعره . ولا يهمنا ان نعرف علاقته بمن حوله . بل ننظر فى شعره وحده مجردا عن كل شئ . ومعزولا عن صاحبه من حيث صـــفاته الجسميه أو الخلقية أو سيرته الشخصيه ، او العاطفية أو تكوينه النفسى كما يجب عزل الأدب عن ظروفه الاجتماعية المحيطة به . وان نحرر النص من سياقه الاجتماعى . ولا يجب ان ننظر الى العمل الأدبى الا نظرة جمـــالية . وفنية محضة وأن نبصرها بما يسميه ( التبصر الجمالى ) .

« فالتبصير الجمالى يتجه نحو الموضوع . وهذا التعـويض يتجه الى داخل نفس أبى نواس المليئة بالحرمان » (١) .

وينتهى به هذا ( التبصير الجمالى ) الى القول : «ان أبا نواس يسعى الى الخمر فى هجير ملتهب . قد يكون هذا الهجير النفس المحرومة لأى سبب من الأسباب ، وقد يكون هجير الشوق الى النور والبصيرة . ولماذا نتجه الى هجير دون آخر الا اذا كنا نريد أن نحقق بعض الفروض عن حياة أبو نواس ؟

ويمضى الدكتور ناصف للايغال فى الرمز الذى يفسر به الأدب فيتلمس رموزا أعلى وأبعد . اذ يجعل اللبن والهجير والظل فى أبيات أبى نواس السابقة رموزا جديدة قديمة تعبر عن رغبة الانسان فى الحياه الفطرية واعادة الاتصال بالأم المفقودة لا الأم الشخصية . أى أن موقف الانسان فى

---

(١) انظر دراسة الأدب العربى طبع الدار القومية ـ القاهرة سنة ١٩٦٦
(١) دراسة الادب العربى للدكتور مصطفى ناصف ص ١٥٥ .

الحياة هو موقف الطريد المشرد الذى لا أم له » فنحن لا نتعامل مع مشكله خصوصية . وانما نقرأ مشكلة الانسان الحقيقية فى هذه الحياه » (١) ٠

ثم يقـــول :

« لقد آن لنا أن نحرر النص الأدبى من نفس صاحبه ٠٠ » (٢) ٠

ويرفض المؤلف اسناد أبيات أبى نواس السابقة اشـــارة الى تكوينه ( السيكولوجى ) حين يقول « على هذا التفسير يصـــبح الشعر مجرد مرآة لاحاسيس أبى نواس. ونحن لا نهتم بهذا الشعر من حيث هو معرفة للخمر ٠٠ وشعر أبى نواس يجب أن نتناول بوصفه معرفة جمالية للخمر » (٣)

وفى الحقيقة فكلا الاتجاهين مسرف على نفسه ، ومسرف فى تفسير العمل الأدبى فعزل الادب عن نفس صاحبه ، والمؤثرات الاجتمـــاعية لم ير فيه اصحاب المذهب الجمالى الا انه رموز عامه دالة عن رغبات معينة لا شخصية ٠ كما أن الاغراق فى التحليل النفسى مبعد ـ كذلك ـ عن تفسير الطبيعة الفنية لشعر ابى نواس ٠ أليس من الأفضل النظر الى هذه الأبيات دون مغالاة فى اتجاه على حساب آخر ؟ وليس من الأفضل النظر اليها على أنها أبيات خمرية لشاعر تأصل فيه فن وصفها كل التأصل ؟ ٠

وأثر البيئة فى الشعر العربى وجد لها صدى فى كتابة نقادنا المحدثين كذلك ، ففى دراسة الأستاذ العقاد ( شعرا مصر وبيئاتهم فى الجيـــل الماضى ) يتضح هذا المنهج اذ يقول :

« معرفة البيئة ضرورية فى نقد كل شعر ، فى كل امة ، وفى كل جيل ولكنها ألزم فى مصر على التخصيص ، وألزم من ذلك فى جيلها الماضى على الاخص » ٠

---

(١) المرجع السابق نفسه ـ ص ١٥١ ٠
(٢) المرجع السابق نفسه ـ ص ١٥٧ ٠
(٣) المرجع السابق نفسه ـ ص ١٥٥ ٠

« ولن يتيسر لنا أن نفهم الأطوار التى عبر بها الشعر المصرى الحديث بغير فهم هذه البيئات ، ولن يتيسر لنا أن نتابع هذه الأطوار الى يومنا الحاضر ، ولا أن ندرك معنى الانقلاب الذى طرأ على الأذهان والأذواق فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين بغير استقصاء معنى الأدب والشعر كما كان ملحوظا فى جميع تلك البيئات » (١) .

وهذا المنهج المتأثر بالعلوم الانسانية نجد الدكتور طه حسين يصطنع له طريقة بكتابه ( مع أبى العلاء فى سجنه ) فقد قال فى مقدمته :

« لن يكون الا نحوا من حديث النفس نعرض فيه كما نريد ذكرياتى ، والآراء المختلفة التى كونتها نفسى فى شخص ممتاز شاذ فنان عظيم قاس قوى الارادة قبل كل شى » (٢) .

وينتهى من هذا المبحث الى القول .

فلنأخذ **أبو العلاء** كما هو ، كما أرادت فطرته وبيئته . وظروفه أن يكون ولترث له من هذا البؤس الملح ، وهذه الحيرة المضنية . ولنستمتع بهذه اللذة الحلوة المرة التى نجدها عندما نسمع صوته المشرق الحزين ينشر هذا الشعر **الذى ان صور** شيئا فانه يصور رجولة قوية ، ومروءة صادقة ، وقلبا رحيما ، وعقلا ذكيا نافذا ، وشكا مهما يعنف فهو لا ينتهى بصاحبه الى هذا التمرد الوقح الذى نجده عند كثير من الذين أسرفوا فى الثقة بعقولهم وانما ينتهى به الى الخوف والاشفاق والغلو فى الحذر ، والاحتياط للنفس ، والاجتهاد فى الخير ولا ينتهى به الى هذه السخرية اللاذعة التى تقطع الامل على كل آمل ، والقول على كل قائل ، وانما تنتهى به أحيانا الى سخرية

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى - ص ٣ - ٥ .
(٢) د . طه حسين ، مع ابى العلا فى سجنه - ص ٧ .

رفيقة باسمه لا تقطع على مخالفيه أسباب التفكير ، بل لا تقطع عليهم أسباب محاورته ، والرد عليه » (١) ·

على هذا النحو تأثرت الدراسات النقدية فى الأدب العربى فى عصرنا الحديث بالاتجاهات المختلفة التى ربطت النقد الأدبى عند الغرب بظواهر العلوم الانسانية فى الفلسفة والأخلاق والاجتماع والتاريخ والاقتصاد والجمال وطبائع الأشياء ، ولكن ليس معنى وجود علاقة ما بين النقد وتلك العلوم الانسانية أن يهتم النقد بما يثار من القضايا الأخلاقية ، والمناقشات الفلسفية والمسائل الجدلية ، وظواهر علم الاجتماع وشئون الاقتصاد ووثائق التاريخ وقوانين الطبيعة وما الى ذلك ·

ومما لاشك فيه أن النقد خاضع لعوامل مختلفة فى البيئة التاريخية والاجتماعية والخلقية وهذه العوامل تكمل عملية التقويم وترشد اليه ولكنها لاتفى بمهمة التقويم الكامل أو الصحيح·

« فعلينا أن ندرك أن النقد الأدبى خاضع لعوامل شتى تاريخية ، واجتماعية وخليقة ، وأن هذه العوامل وهى متفرقة لا تفى بمهمة التقويم الصحيح ، انها ترشدنا الى اتجاهات هذه الاشعاعات حيث تتجمع فى بؤرة واحدة تختلط فيها الفكرة بالوجدان ، وتتحد بها فى أصالة وعمق » (٢) ·

وعلى ذلك يمكن القول ان صلة العلوم الانسانية بالنقد الأدبى تجىء على قدر معين ، بحيث أن هذه الصلة لا تتعدى نطاق الافادة منها الا بمقدار ما يتيح للناقد نوعاً من الادراك والايضاح اللذين يساعدانه على فهم النص ، وتمييزه ومراجعته وتقديره ، وتحديد أبعاده ، فالأدب ظاهرة انسانية ، وتعبير مصور لجوانب الحياة والنفس والطبيعة يفصح به الأدب عما دق

---

(١) المرجع السابق نفسه ـ ص ١٧٦ ·
(٢) الناقد العالمى ت س × ـ اليوت ·

فى نفسه ويترجم به عما خفى فى داخله من أحاسيس ومشاعر انسانية ، وهذه العلوم لا شك أنها تترك آثارها على الانسان وذوقه ، واحساسه فهى وسائل مساعدة فى فهم النص ، وتقدير قيمته ٠

وبهذا يمكننا الحكم على لأثر الأدبى ونحن مطمئنون الى أننا نقارب الصواب ان لم نكنه ، ويكون حكمنا مستساغا ومقبولا بمعايير النقد الصحيح ٠ وعلى الناقد كذلك ان يجعل لعقله مقدرا فى الحكم على الأشياء ٠

## (١) أثر الدراسات النفسية فى النقد الأدبى

تساعد الدراسات النفسية - الى حد ما - فى محاولة ارجاع الأعمال الأدبية الى دواعيها الدقيقة فى نفس الأديب ، ولكل نفس انسانية عالم خاص بها من حيث مدى شعورها ، واحساسها بالأشياء وتأثرها بها ، ولا يمكن أن تتحد المشاعر ، والأحاسيس ، كما لا يمكن أن تتحد بصمات الناس ، أو حتى تتقارب فى خطوطها ، أوشكالها ٠

والأدب انفعال داخل النفس ، وهو حالة وجدانية تصحبها اضرابات نفسية وجسمانية تختلف قوة ، وضعفا أثناء عملية الانفعال ، فتقوى حدة الخيال أو تضعف ، ويدخل الانسان فى دوائر مختلفة من الابداع الفنى ، ويصور شعوره ، وتنمو العاطفة ويتعمق الادراك كلما زاد الانفعال الوجدانى وقويت العلاقة بين النفس المتأثرة أو الشاعرة ، ومصدر الانفعال أو المثير الذى أحدث فيها نوعا من الاستجابة له ٠

والدراسات النفسية من هذه الناحية مفيدة ، كما سبقت الاشارة اليه فى مؤلفات الأستاذ العقاد من مثل : ( ابن الرومى حياته من شعر ) ، ( وأبو نواس الحسن بن هانىء ) وكما فى كتاب ( مع أبى العلاء فى سجنه ) للدكتور طه حسين ٠ واذا كانت علوم النفس هى أقرب شىء للأعمال الأدبية لأنها تتحدث عن النفس والشعور ، والأدب تعبير أو ترجمة لهذا الشعور ، بل ان الترجمة النفسية عما فى النفس من أسرار قد لا يستطيعها عالم

نفسى ، ولا يمكنه انتزاعها من داخل الانسان ، ولكن يمكن للانسان أن يترجم عما فى نفسه فى عمل أدبى ، ويمكنه أن يرمز لما فى داخله بما يكتبه أو يرويه على لسان أشخاصه فى العمل الادبى ..

ومهما كانت المادة أعنى ( الشعور ) وهو ما يقوم به كل من عالم النفس والأديب الا ان علم النفس ينتهى الى شىء من ( التعميم ) فى أحكامه كما هو الشأن فى العلوم التجريبية . فالمادة عند عالم الطبيعة هى الأجسام الصلبة ومن الممكن أن ينتهى فيها الى قواعد حاسمة باخضاعها التجارب المعمل ، وعالم الأحيا من الممكن ان يصل كذلك الى قواعد مؤكدة .

أما المادة التى يعمل فيها عالم النفس وهى الشعور والاحساس والادراك فليس من السهل السيطرة عليها أو الالمام بجميع ظروفها وملابساتها ، لأنها تخضع لمثيرات مختلفة ثم استجابة لتلك المثيرات وهو الانفعال ، فالحكم الحاسم لا يؤدى الى صحة ، ومن هنا كان التحذير من الركون الى اخضاع قواعد النقد الكثير من نظريات علم النفس التى ربما لا يمكن الجزم فيها الا وهناك احتمال ظهور حالة قد يشملها الحكم .

ومن هنا كان الخطا فى ربط قواعد النقد بمثل النظريات المسرفة فى عالم النفس . أو التى تتبنى على تعميم فى حكمها ، فتعليل الأعمال الادبية على ضوء نظرية عالم النفس الفرنسى ( فرويد ) تؤدى الى أخطار جسيمة فى الحكم على الأشياء ، وفى بناء الحكم على مبررات غير دقيقة وهى من المزالق الخطرة التى يتعرض لها الأدب ونقده على السواء مع أن تطبيق نظرية ( فرويد ) علميا لا يمكن التسليم لها ، ولا يمكن الانتهاء بها الى نتيجة صحيحة كل الصحة .

فمثلا ( فرويد ) يخضع الميول الانسانية الى ما يسميه ( الكبت ) ويعلل بها النزعات التي يتحكم فيها الانسان تمشيا مع المجتمع وتقاليده ، وهذا

التحكم لا يميت الميول ، لأنها ستبقى حية فى وعيه الباطن ( عالم اللاشعور ) وقد تخمد ولكن الى حين ، وهو ما يسميه بالتحليل النفسى ، كما اهتم فى تحليله بالأحلام التى تعرض للشخص فى نومه ٠

والتشابه بين الأدب الذى يتخذ موضوعه الانسان فى ذاته ، وفى استجابته لما حوله . وبين علم النفس الذى يتخذ كذلك الانسان موضوعا له لا يؤدى الى أن نسرف فى جعل النقد مرتبطا بعلم النفس ، لأن علم النفس يتناول الظواهر العامة والأدب يهدف الى ابراز العنصر الفردى الذى يميز الانسان عن أخيه ٠ فالحديث عن الغريزة أو الخيال أو العاطفة من الباحث النفسى انما هو حديث عن ظواهر عامة تنتظم جنس الانسان أيا كان ٠ وأما الأديب فانه يبرز فى نتاجه ذاتيه خاصة اذا كان يتغنى بقصيدة غنائية ، وان كان كاتبا ، واقصاها فاننا نجده يصور الشخصيات ، مبرزا أصالة كل منها ، وخصائصها مهما اختلفت الشخصيات فى صفة واحدة كالبخل مثلا (١) ٠

فالاستعانة بعلم النفس فى النقد الأدبى لابد أن تتم فى حذر حتى لا تضيع أصالة العمل الأدبى فيكون تحليل نفسية شاعر ما ، أو فهم أشخاص الرواية متأثرا بقوانين عامة فى علم النفس لا يصدق الا فى التخطيطات الكلية ، لان التطابق ، أو التشابه التام بين البشر أمر مستحيل ، وهذا دليل على القدرة الالهية ٠

---

(١) شخصية البخيل فى رواية ( موليير ) البخيل ـ غيرها فى رواية ( أوجين جراندية ) ( لبلزاك ) فكل واحد يحاول ان يختار من البخل وحركاته طبيعة خاصة بالشخصية التي يعبر عنها ـ انظر د ٠ مندور فى الأدب والنقد ص ٤٧ ٠

علم النفس اذا يمكن أن يساعد فى فهم نفسية الشاعر . أو الكاتب وفى تحليل نفسية الشخصيات الروائية التى يبدعها الكاتب . ولكنه قد يضل فى هذا الفهم ان نحن أسرفنا فيه ، أو اعتمدنا عليه كل الاعتماد ·

ومن الخطأ كذلك اقحام المصطلحات التى يستخدمها علم النفس فى الأدب . فبالا مكان فهم العوامل النفسية المؤثرة فى الأدب دون استخدام مصطلحات علم النفس . لأن فهم النفسية شيء ، واستخدام نتائج علم النفس ومصطلحاته شيء آخر مختلف تماما (١)· ونلاحظ فى هذا المجال استخدام العقاد لكثير من مصطلحات علم النفس فى دراسته عن أبى نواس على عكس ما كان في دراسته عن ابن الرومى ·

ومهما كنا حريصين على عدم الاغراق فى ربط علم النفس بالنقد ، أو تأثيره فيه تأثيرا قد لا يكون محمودا ، فانه يبقى أن نشير الى أهمية الدراسات النفسية فيما نحن بصدده ·

وترجع هذه الأهمية الى مساعدة علم النفس فى توجيه الدراسات على النحو التالى :

١ ـ البحث فى عملية الابداع والخلق ، وكيفية اتمامها ، وما تشف عنه من مقدار حيوية الشعور ، ومدى وضوح الرؤية الابداعية ، ومعايير الاتزان النفسى ، وما قد يكون وراء ذلك كله من فروق · والبحث عن مثل ذلك يمكننا من تمييز بعض الأعمال الأدبية عن بعضها الآخر ·

٢ ـ استغلال مقياس ( الاستقصاء النفسى ) لأحد الأدباء ، أو لمجموعة بذاتها ، لنتبين مدى الارتباط بين الحالة الذهنية لهـــذا الأديب أو لهؤلاء الأدباء ، ولنعرف خصائص النتاج الأدبى الصادر عنه ، أو عنهم ·

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٨ ـ ٤٩ ·

٣ ـ على ضوء دراسة المواقف النفسية يمكن التعرف على شـــخصية الشاعر ، أو الكاتب وتحديد الاطار الذى يتحرك فيه من خـــلال المواقف النفسية التى يراها النقد فى اعترافات الأديب . وفى رسائله ، أو قصائده ، ويمكن أيضا التعرف على مدى انعكاس الأحداث الخارجية على نفسه سلبا ، أو ايجابا . كما يتضح ذلك من خلال دراسة الفرق بين الموقف النفسى عند كل من **شوقى والبحترى فى السينية الأندلسية** ، وسينية وصف الايوان .

فكثير من الشعراء وقف على الآثار وهذا موضوع واحد ، ولكن يمكن التفريق بين شاعرين فى موضوع واحد من خلال الموقف النفسى ، والحالة التى أملت **على كل منهما** استعماله لصيغ خاصة ، وصور مختلفة .

فالبحترى وقف على الآثار فى سينيته :

صـــنعت نفسى عمـــا يدنس نفسى  وترفعت عن جـدا كل جبس

فقـــال :

لـــو تراه علمت أن الليـــالى  لمحل من ( آل ساسان ) درس
لـــو تـراه عامت أن الليـــالى  جعلت فيه مأتما بعد عرس

الى أن يقـول :

عمرت للسرور دهرا فصـــارت  للتعزى رباعهم ، والتـأسى
فلهـــا أن أعينهـا بدمـــــوع  موقفات على الصـبابة حبس

فموقف البحترى هنا موقف حانق على المجتمع من حوله حتى الأقارب والأصحاب منهم ، لا يحب أن يراهم ، أو يلتقى بهم فهو يمثل موقف من ينفر ممن حوله ، ويهرب من أزمة وعيه النفسية ( الضيق ، والأسى ، والألم ) الى أن ينشد عظة أو وراحة بأطلال ( الفرس ) فيصفهم ، ويعترف لهم بما صنعوا مع، ملوك اليمن ، العرب قديما .

ذاك عندى ، وليست الدار دارى  باقتراب منهـا ، ولا الجنس جنسى
غير نعمى لأهلهـــا عند أعـــلى  غرســـوا من ذكائها خير غرس

ـ كما أن شوقيا وقف على الآثار فى سينيته الأندلسية :

اختلاف النهـــار والليل ينسى  فاذكر الى الصـــبا ، وأيام أنسى

فالموضوع واحد ( الوقوف على الآثار ) ، ولكنهما اختلافا فى الموقف النفسى . لأن ( شوقيا ) فى وقوفه على أطلال الفراعنة ، وتذكره لها ، وهو فى منفاه يحن الى مصر ، ثم ان اســـتطراده فى الوقوف على اثار العرب بالاندلس كأنه فى ذلك يهرب فى حلم خيالى بامجاد وطنه فى الغابر ينشد من وراء ذلك . أى من وراء تذكره لمجد العرب فى الماضى فى ديار الأندلس ، وتذكره لمجد الفراعنة قديما ، كأنه ينشد ملاذا من الحاضر ، فهروبه من حاضره ، ورجوعه بخياله الى الماضى له طابـــع فى نفسه ، وله فيه موقف نفسى خاص يهدف به نشدان المجد فى المستقبل ، واثارة الهمم لمســـتقبل الوطن .

وكأن الاهرام ميـزان فرعـــو  ن يقوم عـــلى الجبـابر نحس
قـرية لا تعـــد فى الارض كانت  تمسك الأرض أن تميد وترسى
من لحمراء جللت بغبـــار الدهـ  ـر كالجـــرح بين برء ونكس

ثم ينتهى الى قـوله :

رب بـان لهـــادم وجمـوع  لشـــت ومحســـن لمخس
امرة النـــاس همة لا تاتى  اجبـــان ولا تســـنى لنكس

وهـذا الموقف النفسى لا يمكننـا التعرف عليه فى أبيات البحترى السابقه فهناك فرق كبير فى الموقف النفسى وان اتفق الشـــاعران فى الموضـــوع . كذلك الأمر بين المدح والرثـاء فالموقف النفسى يختلف فى الموضعين اختلافا كبيرا لا يقف الأمر فيه عند حد قول قدامة بن جعفر :

« ليس بين المرثية والمدحة فضل الا أن يذكر فى اللفظ ما يدل عـــلى أنه لهالك .. وهذا ليس يزيد فى المعنى ، ولا ينقص منه » ، فمثـــل هذا

الكلام يغفل المواقف النفسية بين المرثية والمدحه مع ما يترتب على كل موقف من تخير المعانى ، وطريقة الصياغة ، والصور ، والأخيلة ٠

٤ ـ لقد استعار النقد الأدبى من التحليل النفسى الفروض الأساسية عن عمل الباطن ( اللاشعورى ) ، وطريقة تعبيره بالتداعى عن رغباته الكامنة

وتظهر الفائدة من نتائج هذا التحليل فيما نلقيه من أضواء على العمل الأدبى ، وفى استشاف أبعاد التجربة وتفسير الدلالات الكامنة وراء العمل الأدبى ٠

٥ ـ وفى مجال التطبيق تبدو الأشعار الغنائية معرضا لحالة الشاعر الذهنية ولاتجاه مشاعره ، وانفعالاته ، وعواطفه ٠

٦ ـ يضاف الى ذلك أن الدراسة النفسية وسيلة للتعرف على ( الجمال والحق والخير ) وتلك مثل عليا وأهداف نموذجية تنشدها الانسانية على مدى الدهور ، فالجمال مثل أعلى لما فى الوجدان ، كما أن الحق مثل أعلى للفكر ، والخير مثل أعلى للارادة ، أو النزوع ، والوجـــدان ، والفـــكر ، والارادة انما هى مظاهر للشعور الانسانى الذى يتذوق الشيء الجميـل ، ويتحسس الخير ، ويتعرف على الحق ٠ (١) ٠

## (٣) صلة النقد بالدراسات الاجتماعية

شاركت الدراسات الاجتماعية فى توضيح بعض الملابسات التى أحاطت بالعمل الأدبى ، ودفعت اليه وكانت من عوامل ابرازه ، وقد تلاقت فلسفة النقد الأدبى مع فلسفة التاريخ الحديث أو ما يمكن ان يطلق عليه ( النقد التاريخى ) ٠

---

(١) انظر كتاب مناهج النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق ترجمة محمد يوسف نجم ص ٥٢٣ . النقد الادبى ومدارسه الحديثة : ســـتانلى هايمن ترجمة احسان عباس ومحمد يوسف نجم ، وعز الدين اسماعيل : التفسير النفسى للأدب ، وعبد الحميد حسن : الأصول الفنية للأدب ٠

والتاريخ نفسه لم يعد سجلا للامتداد الزمنى فيما مضى من الزمـــان بوصفه زمانا لوقوع الأحداث ومعاصرتها ولكن التاريخ - الى جانب ذلك - اصبح له من الوظائف ما يعد كشفا عن القيم الانسانية فيما تكشـف عنه الأحداث الماضية من قوانين انســـانية مرتبطة بأزمانها التاريخية ، مثل قوانين الاقتصاد السياسى فى المجتمعات الماضية ، أو عوامل التقدم الثقافى أو عوامل ازدهار لغة أو انضاعها أو عوامل أزدهار الحضارة او ضـــعفها ، أو مظاهر الانحطاط وصوره لأمة من الأمم ٠

ويحاول المؤرخون استلهام ، واستشفاف قواعد من حقائق الأحداث ، بوصفها حقائق موضوعية ثم برتبونها فى تسلسل منطقى خاص خاضـــع للهدف الذى يقصدون اليه ٠

على هذا يصبح التاريخ استجلاء لقيم انسانية فى الماضى وهـذه القيم تتطلب شرحا وتأويلا ، والحقائق التاريخية فيها ما هى الا باعث ، أو تعلة لقضايا المؤرخ التى يأخذ منها استنتاجا لوسع الآفاق للحاضر ورســـم اتجاهات المستقبل ، وبذلك تتولد المعانى الانسانية مجردة فى عاقبة الأمـر من معناها الزمنى لتصير مقوما من مقومات الحضارة (١) ٠

والعلوم الاجتماعية لها قيمتها فى الفقد ، الا أنها قيمة محدودة بهما تضافرت معها جهود علوم الفلسفة ، والجمال ، والنفس ، فـــلا يمكن أن تفسر العمل الفنى وحدها تفسيرا مأمونا ٠

فالدراسات الاجتماعية للأدب ترى أن ظهور العمل الأدبى ، أو انبثاق صاحبه انما هو حادث زمنى أو مكانى تدفع اليه ظروف تاريخية عامة ، ويكون ظاهرة من ظواهر البيئة لابد أن توجد فى اللحظة الواجب ظهورها مثل تفسير نشأة فن من الفنون ، أو جنس من الاجناس . أو ظهور اتجاه من الاتجـــاهات المختلفة كظاهر شعر (الصعاليك ) أو ظهور الغزل بأنواعه (اللاهى والعذرى ،

---

(١) انظر د ٠ محمد غنيمى هلال : النقد الادبي الحديث ص ٧ ط ٣ ٠

والصوفى ) كما علل الدكتور طه حسين أثر البيئة الحجازية فى ظهور الغزل اللاهى والعذرى ، أو شعر الكدية ٠٠ الخ ٠٠ كما تميل الدراسات النفسية الى أن بعد الأثر الفنى ظاهرة من الظواهر النفسيه للاديب ، أو استجابة لانفعالات معينة ، حتى توصلت الدراسة التحليلية فيما تسميه ( العقد النفسية ) محاولة بذلك الكشف عن طروف العمل الفنى ، والدوافع التى أوجدته ، وصيغته بهذه الصيغة ٠٠

والاتجاهات النفسية والاجتماعية فى دراسة الظواهر الأدبية صارت منهجا لدى كثير من النقاد والباحثين ، فالعقاد أخذ بالمنهجين النفسى والاجتماعى عند دراسته لشاعر الغزل عمر بن أبى ربيعه ، ذلك أنه قد انتهى فى هذه الدراسة الى ان الغزل كان أمرا طبيعيا فى بيئة الحجاز فى هذا الوقت وأن عمر بن أبى ربيعة حاول تلبية تلك الظاهرة البيئية تلبية طبيعية فوجود عمر بن أبى ربيعة بعد ظاهرة تاريخية اجتماعية ، كما أن وجود شعراء التصوف ظاهرة طبيعية لمزمان والمكان اللذين كانا بحاجة الى ظهور هذا اللون من الشعر ، أى بيئة العلماء والمتصوفين ٠

ثم تحدث العقاد عن عمر بن أبى ربيعة من حيث العوامل النفسيه الخاصة التى أثرت فيه ، وانعكست على حياته فاثبت له ( الطبيعة الأنثوية ) وأنه منغزل لا عاشاق وأنه ابن بيئته المترفه التى أثرت فى اتجاهاته ، وميوله وسلوكه فحين قال ابن أبى ربيعة مثلا :

بينما ينعتنى أبصرننى ... دون قيد الميل يعدوبى الأغر
قالت الكبرى : أتعرفن الفتى ؟ ... قالت الوسطى : نعم ، هذا عمر
قالت الصغرى : وقد تيمتها ... قد عرفناه ، وهل يخفى القمر (١) ؟

---

(١) وقيد بالكسر : قدر والميل بكسر الميم : قدر منتهى مد البصر والجمع : أميال تقول هو منى يد ميل : مده ، ودون قيد الميل : أقل منه

وقد سمعه ابن أبى عتيق فقال له : «أنت لم تنسب بهن، وانما نسيت بنفسك وانما كان ينبغى لك أن تقول : قالت لى ، فقلت لها فوضعت خدى فوطئت عليه وكذا قال له كثير لما سمع قوله :

قالت لهـــا أختها تعاتبها  لا تفســـدن الطواف فى عمر
قومى تصـــدى له لا بصره  ثم اغمزيه يا أخت فى خفـر
قالت لها : قد عمزته فأبى  ثم اسـبطرت تشتد فى أثوى

ـ أهكذا يقال للمرأة ؟ انما توصف بأنها مطلوبة لا طالبة » (١) ٠

ونحن نعلم أن الحجاز فى عهد بنى أمية ظل فى عزلة ســياسية فانصرف هم الشباب المترف الى اللهو واستجابة لدواعى الهوى ، وكان من أثر ذلك أن طفى المجون والاستهتار ، واتجه الشعراء الى وصف هذا المجون ، وقد استمر هذا النوع من الغزل الماجن . وبلغ ذروته عند امثال بشار ، وابى نواس فتغزلوا بالمذكر ، والجوارى والغلمانيات (٢) ٠

والحق أن أحكام العقاد على عمر بن أبى ربيعة لم تتجاوز دائرة البيئة التى عاش فيها ، ونشأ بها العمل الأدبى ، ولذلك كانت مأمونة العواقب ٠ أما لو كانت الدراسات النفسية والاجتماعية تعليلا للطبيعة الفنية للشاعر وتفسيرا لمقوماتها فانها بذلك تكون قد تجاوزت حدودها ٠

فهذه الظروف وغيرها لا يمكن ان تفسر لنا الطبيعة الفنية لابن أبى ربيعة على النحو الذى كانت عليه بينما عمر لم يكن فردا ممن تنطبــق عليهم الظروف البيئية وتتوفر فيهم الطبيعة الأنثوية ، بل شاركه كثير

---

(١) انظر ابن رشيق العمدة ٢/١٢٤ ٠ واسـبطرت فى سيرها : اسرعت ٠ وامتدت ٠
(٢) انظر د ٠ محمد غنيمى هلال ـ الحياة العاطفية ص ٥ ٦ ٠

ممن دانر بالسنه . فالذى فسر الطبعه الفنيه انما هو الموهبة . والمقدرة الفائقة التى لا يمكن أن تفسرها الدراسة التاريخيه ولا الدراسة النفسية تفسيرا كاملا مع انها قد تكون عوامل مساعدة فى تنميه المقدرات والمواهب وصقلها .

والدراســـــات الاجتماعيه تقول أن المتنبى مثـــلا كان يعانى حب الاستعلاء . والكبرياء وقد يكون هذا مرد شعره . وعشاه فى غالب شعره وهذا الاستعلاء ربما يعلل به كثرة تصغيره فى الهجاء كما صنع العقاد . ولكن هذا التعليل لا يمكن أن يفسر لنا عبقرية المتنبى أو يكشـــف عنها فلمادا كانت طبيعته الفنيه على هذا النمط العالى من المستوى الفنى مع أن هناك كثيرين كانوا يحبون الاستعلاء ولكن لم يكن لهم هذه المقـــدرة الفنية فى التعبير ؟ ..

كما أن الشيخ أمين الخولى رد الاتجاه الفنى فى شـــعر المعرى الى عوامل ( بيولوجية ) فى جسمه ، والى عوامل نفسيه فى شعوره ناشئة عن العوامل الجسيمة ، ولكن مثل هذه الدراسة لا يمـــكن أن يفسر لنا تلك الطبيعة الفنية ، والمهارة فى الصياغة ، ومســـــتوى اعجازه على العطاء ، والتاثير التى كانت عند أبى العلا . فالظروف البيئية والنفسية والبيلوجية لا تفسر هذا الابداع ، لأنها قد توجد فى أناس ولا يمكن أن يكون لهم موهبة الشعراء .

ويمكننا الانتهاء من ضرب تلك الأمثله الى القول بان القصـــــه والتوسط فى الاعتماد على الدراسات الاجتماعية فى تفسير العمل الأدبى . أمر محمود طالما أن هذه الدراسات تفسر لنا المحيط العام للعمل الأدبى . ولكنها تفقد قيمتها حين نحكمها فى تعليل الطبيعـة الفنية . ولا يبقى الا الاعتماد على الوسائل الفنية فى الشعور والذوق . وعلى القـــواعد الفنية المباشرة .

ولقد أفرط كثير من الباحثين فى محاولة ايجاد صـــلة بين الأدب والحياة أو ربط القصيدة بالبواعث التى دفعت الى انشائها . ووصـل ببعضهم الأمر الى الخلط بين سير الأدباء والشعراء وبين نتاجهم الأدبى . حتى تحول النقد الأدبى الى مجرد بحوث اجتماعية . وسـياسـية لأدب ( نجيب محفوظ ) . ومع أن مثل هذه البحوث العلمية تكون لازمة للمضى منها الى النقد الأدبى واجتياز مرحلتها الى مرحلة فنيه أصيله . الا انها لا تستحق فى ذاتها أن تسمى نقدا أدبيا .

أما أهمية الدراسات الاجتماعية فى النقد الأدبى فترجـــع الى عدة أمور تفيدنا فيما ياتى :

١ ـ فى تناولنا لنشأة الشاعر مثلا . ولتوضيح النظم الاجتماعيه والأحوال . والأنشطة الحضارية . وغيرها مما عاش فيه الأديب . فأثر على اتجاهه أو لونه ، ونوع اجناس أدبه .

ومن الواضح ان الاتجـاه الثقافى . والبيئة العلمية لعصر ما تطبع الأديب بطابعها الخاص . وربما يتحكم فيه . وفى وجوده على نحو بعينه . وتختلف الطبقات فى حبها لنوع من الأدب . وتفضيلها لجنس على آخر ، ولأديب على غيره .

٢ ـ تفيدنا الدراسات الاجتماعية كذلك فى الوقوف على التقاليد ، والعادات وكل التيارات الاجتماعية التى أثرت فى العمـــل الأدبى وفى تكوين شخصية الأديب .. وفنه فاذا عرفنا طبيعة البيئة العربية المدونة وعرفنا تقاليد العرب فى التعبير عن خواطرهم . وتقاليد مجتمعهم الجاهلى . فان ذلك يسهل علينا كيفية فهم ما ذكره شعراء المعلقات فى حديثهم مثلا عن الديار والدمن . وحنين الصحراء الذى يعاشهم . وتصوير شاعريتهم لما يصاحبه فى تنقلاته . وأسفاره عبر الصحارى والقفار من أهـــوال يركب

لها المخاطر ، ويتجشم الصعب ، ولو أننا علمنا ما كان يجرى فى مجتمعاتهم مما درجوا عليه من عادات ، وتقاليد لسهل علينا فهم قول لبيد مثلا :

وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابه أجسامها (١)
أدعو بهن لعاقر ، أو مطفل ... بذلت لجيران الجمع لحامها (٢)
فالضيق ، والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبالة مخصبا أهضامها (٣)
تاوى الى الأطناب كل رزية ... مثل البلية قالص أهدامها (٤)
ويكللون اذا الرياح تناوحت ... خلجا تمد شوارعا أيتامها (٥)
انا اذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشامها (٦)
ومقسم يعطى العشيرة حقها ... ومغرم أحقرقها مضامها (٧)

واذا ما علمنا مؤثرات كل جيل ، وعصر فى أدب شعرائه سهل علينا فهم اتجاه هذا الشاعر ، أو ذاك فى طرائق فنه ، وفى ميوله ، وفى ذكره لما هو شائع فى زمنه ، فمثلا وجد من حيوان الصحراء النعام ، والغزلان ،

---

(١) الايسار : الذين يضربون بالقدح على الجذور · المغالق : القداح ·

(٢) عاقر : ناقة عاقر ، مطفل معها ولدها وذلك الغلى وقيل عاقرا عجوز ومطفل ذات طفل أى أنحرهن لاجل هؤلاء ·

(٣) تباله قرية قرب الطائف ـ الاهضام : بطون الاودية ·

(٤) الرزية : المرأة المهزولة : البلية : الناقة : التى تشد عند قبر صاحبها لا تطعم ولا تسقى حتى تموت · قالص : مرتفع · الاهدام · الخلقان : تأوى الى الخيمة الفقيرات ·

(٥) يكللون : ينضدون اللحم · تناوحت : تقابلت : الخلج : الجفان : تمد : تزاد شوارعا : شارعة ·

(٦) لزاز : يلزبها · الجشام : المتكلف ·

(٧) المغرم : الذى يضرب بعض حقوق الناس أو الذى يعطى قوما ويترك آخرين ·

والبقر الوحشى فكان الشاعر الجاهلى يلجأ الى تشـــبيه المرأة بمثل هذا الحيوان فى سعة عيونها ، وفى طول جيدها ولذا يسهل على الناقد تذوق الصور التى تعتمد على هذا ، ولا يرى فيها غرابة ٠

ولقد كان العرب يستهويهم فى المرأة ثقل عجزها ، ونهود صـــدرها ، ودقة خصرها من مثل قول النابغة فى المتجردة :

مخطوطة المتنين ، غير مفاضـــة  ريا الروادف ، بضـــة المتجـــرد

وقول كعب بن زهير :

عيفاء مقبلة ، عجـــزاء مدبرة  لايشتكى قصر منها ولا طـــول

وأوضح منه قول امرئ القيس فى محبوبته :

اذا التفتت نحوى تضوع ريحهـــا  نسيم الصبا جاءت بريا القرنفـل
مهفهفة بيضـــاء غير مفاضـــــة  ترائبهـا مصـــقولة كالسـجنجل
تصد ، وتبدى عن أسـيل وتتقى  بناظرة من وحش وجرة مطفـــل
وجيد كجيد الرئم ليس بفـاحش  اذا هى نصـــته ، ولا بمعطـل
وفرع يزين المتن أسـود فاحـم  أثيث كقنو النخلة المتعثـكل (٢)

---

(١) مهفهفة : لطيفة المظهر ٠ المفاضـــة : المرأة العظيمة البطن ٠ الترائب موضع القلادة من الصدر ٠ السجنجل : المرآة ٠

(٢) تصد : تدبر ، تبدى : تظهر ، الاسالة : امتداد ، وطول فى الجيد ، وجرة : موضع ٠ مطفل : لها طفل ٠ الرئم : الظبى الأبيض ٠ النص : الرفع ٠ الفاحش : ماجاوز القدر فى شىء ٠ الفرع : شعر فاحم : شـــديد السواد : الاثيث : الكثير ٠ النخلة المتعثكلة : التى خرجت عثاكيلها ، أى قنوانها ٠

واذ قد علمنا من نبات الصحراء الأيهقان ، وشجر الغضا ، والقرنفل وغير ذلك سهل علينا تذوق التشبيهات ، والتراكيب التى تخالط حياة سكان الصحراء والبوادى ·

كذلك لو أننا كشفنا عن تأثير البيئة العلمية ، وحركة الترجمة فى الشعر العباسى لسهل علينا فهم كثير من شعر أمثال المتنبى ، وابن الرومى وابى العلاء وغيرهم ، ولسهل علينا كذلك فهم كيفية تأثير الاتجاهات السياسية فى الشعر السياسى أيام بنى أمية ·

وعلى أية حال فان أثر الدراسات الاجتماعية ، والنفسية ان لم تكن واضحة كل الوضوح فى الشعر فانها اكثر وضوحا فى مجال النثر من الاعمال القصصية ، والروائية ، اذ يستطيع الكاتب فيها التعرف على شخصيات رواياته ، ورسم صورة لكل شخصية ، ومن خلال تلك الأعمال الفنية ، يمكننا التعرف على الأنماط السلوكية ، والأوضاع الاجتماعية ، والتقاليد التى تصاحب كل عصر وتعبر عن طبيعة كل طبقة من الطبقات ، او مجموعة من قطاعات المجتمع المتباينة فى تفكيرها ، وعاداتها وأنماط سلوكها ·

ويمكننا الانتهاء من مثل هذه الأمثلة الى القول بتأثر النقد بتلك الدراسات واعتماده عليها بشىء من القصد ، وعدم الاسراف والغلو فيها ، لانها وان أوضحت بعض الملابسات التى أحاطت بالعمل الأدبى ، ودفعت اليه الا انها لا تستطيع أن تفسر لنا العمل الفنى تفسيرا ينتهى بنا الى فهم الطبيعة الفنية وبيان مستواها ، وأسلوبها ·

## (٣) صلة النقد بعلم الجمال

شاركت نظريات علم الجمال فى توجيه الدراسات النقدية حديثا ، الا أنها أسرفت فى كثير من اتجاهاتها ، وانتهت الى ان الفنون ، والأدب تندرج تحت مؤشر من مؤشرين ·

فاما أن تندرج الآداب والفنون تحت تأثير ( الاتجاه المثالى ) واما أن تندرج تحت تأثير ( النزعة الواقعية ) • وقد نشأ عن هذا التقسيم الفلسفى وجود مذهب ( الفن للفن ) فى الأدب عند أصحاب ( الاتجاه المثالى ) . وتبع ذلك ظهور مذهب ( النقد التاثرى ) فى الدراسات النقدية كما أثر ( الاتجاه الواقعى ) الذى يدعو الى أن ( الفن للحياة ) فى وجود المذاهب ( الواقعية ) ، و ( الاشتراكية ) ، و ( المادية ) . ومذهب الالتزام فى النثر دون الشعر • (١)

والأساس الذى يعتمد عليه النقد الأدبى بدأ بالذوق • الشخصى والتاثر الذاتى . ولا يمكن الاستغناء عن الذوق الشخصى لادراك الحقيقة ادراكا صحيحا ، فكما أننا لايمكننا ( ادراك طعم الشراب الا بتذوقه ) (٢) كذلك لا يمكننا ادراك قيمة العمل الفنى الا بأن نتملاه ، ونصغى اليه ونرهف السمع له . ونعرض أنفسنا عليه . لنكشف سر تاثيره فينا ، والى أى مدى كان هذا التاثير وهذا هو أساس النقد •

ويرى الدكتور محمد مندور : (٣) أن اعتماد النقد على التجربة الشخصية قد انهى الى مذهبين كبيرين هما :

١ ـ النقد الذاتى . أو النقد التاثرى •

٢ ـ النقد الموضوعى ، أو النقد الشيئى •

فقد كان طبيعيا أن ينشأ الى جانب ظاهرة النقد الذاتى ـ وهو النقد القائل بأن الأدب مفارقات . وأن التعميم فيه خطر ، وأن جانبا من الذوق لا يمكن تفسيره . أو ايجاد مبرر له ، فيبقى هذا الجانب من النقد

---

(١) أنظر د • محمد غنيمى هلال : النقد الادبى الحديث ص ٢٩٧ •
(٢) أنظر د • محمد مندور : فى النقد والادب ص ١١
(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٥ •

غير مؤل الى معرفة تصح لدى غير المتذوقين أنفســـــهم - كان طبيعيا أن ينشأ الى جانب ذلك ( النقد الموضوعى ) :

( والنقد الموضوعى ) : هو ذلك النقد الذى ينتهى الى أن الأصل ، أو الأساس فى كل نقد هو تطبيق أصــول ، وأسس مرعية ، وقواعد ثابتة ومطبقة ، بحيث لا نترك مجالا لذوق شخصى ، أو تحكم ذاتى ، وليس معنى ذلك أن قواعد النقد تطبق آليا ، ولها صفة القانونية ،أو الدستورية وانما الأساس فى النقد الموضوعى يظهر فى مدى اســـتخدامنا لقـــواعد النقد ، وفى طريقة هذا الاستخدام ، ومجالاته . ولن تتأتى كيفية استخدام أسس النقد الامن خلال العنصر الشخصى ، أو الذاتية فى النقد الموضوعى يضاف الى ذلك أن الجانب العقلى الذى لابد منه لتقوية الذوق . وانمائه يكون الأساس الموضوعى فى النقد الذاتى .

على هذا يكون الفرق بين ( الذاتية ) ، و ( الموضوعية ) فى النقد قائما على التغلب ، أى تغليب جانب على آخر .

وكما قلنا فان الأدب ظاهرة انسانية ، وفن جميل فيه من المفارقات ما يبعد به عن المعادلات الرياضية ، والقواعد التى تحكم الشىء احـــكاما دقيقا . ومع أن هناك مقاييس عامة للجمال ، فان الجميل - بطبيعته - لا يمكن أن يقنن أو تقعد له قواعد انضباطية ، بحيث تكون جامعة مانعة ، ويتأكد ذلك حينما ندرك أنه منـــذ ثار ( الرومانتيكيون ) فى القـرن الميلادى التاسع عشر على أدب - القواعد ( الكلاسيكى ) لم يحاول النقـاد وضع أصول جافة ، أو جامدة للنقد ، وان كانت الأصول مرعية فى جانب النتاج الادبى أكثر منها فى جانب الشرح والتفسير والأحكام (١) .

---

(١) من قيود الأدب المرعية : الخضوع للقافية والبحر فى الشـــعر مثلا . وقد يؤدى هذا الالتزام الى تجويد الشاعر ، وانتهائه الى معنى ربما لم يكن ليخطر على باله الا بالمعاناه والتقييد ، وهنا يصدق المثل الفرنسى ( لا تحيا الفن بغير قيود ) . انظر د . محمد مندور : فى الأدب والنقد ص ١٠ - ١٣ .

ولو نظرنا الى ( الاتجاه المثالى ) و ( الواقعى ) فى الأدب والنقـــد لوجدنا أنهما متناقضان فى الظاهر ، ولكنهما متكاملان فى الواقع عند كثير من النقاد ذلك أن وظيفة الأدب فى جميع المذاهب : ( الكلاسيكية ) ، و ( الرومانتيكية ) و ( الواقعية ) و ( الوجودية ) وغيرها •• تمثيل الأفكار المجردة ، والمشاعر والتجارب فى صور تنبض بالحياة ، فهو ينـــزل هذه الأفكار ، والمشاعر من عالم ( التجريد ) الى عالم ( التجسيد ) بالوسائل الفنية الخاصة ، أما ( المثالية ) فهى أصلا تجريد ••

فمن هذه الناحية يمكن القول : لامثالية فى الأدب (١) ، وذلك اذا عددنا المثالية تجريدا ، والأدب ليس تجريدا ، ولكنه تجسيد ، وتجسيم وتشخيص للخواطر • ومن جهة أخرى يمكن القول : ان الأدب ، أو الفنون فى جميـع المذاهب ( مثالية ) ، اذا فهمنا أن ( الواقعية ) لا تقف عنـد تصوير الواقع وحدوده ، بل تتجـــاوز الواقع ، وترتفـع به الى ما يجب ، وما يصح أن يكون عليه ، لا أن تقف عند ما هو كائن ، أو واقع •

فالاتجاه الى تصوير الأمر الواقع فى الفنون ، كتصوير الشر مثلا ، أو الظلم أو الباطل (٢) يكون الهدف منه الثورة على ذلك الواقع لتغييره ، وهو نفس ما يفعله ( الرومانتيكيون ) الذين يهربون من الواقع ضيقا به • والواقعيون يشبهون دعاة ( الفن للفن ) هؤلاء الذين يتفننون فى تصوير ما يروعهم قصدا الى غاية تتجاوز الواقع فى صورة من الصور •

فالدعوة الواقعية ـ اذن ـ دعوة مثالية ، لأن المذهب الواقعى لايعمد الى الامر الحادث فينقله ، بل له اختيار وأصـــالة فى هذا الاختيار ، فهم

---

(١) انظر د • محمد غنيمى هلال ـ النقد الادبى الحديث ـ ص ٢٩٧

(٢) لاحظ أن المذهب ( الكلاسيكى ) : ينتصر فيه الحق على الباطل ، ويقوم فيه كل من الشر والخير تقويما دقيقا •

يهدفون الى المثالية . ولكن ليس عن طريق الهـــرب من الواقع ، والنفور منه ، بل عن طريق البدء به . ومنه ، فوراء التصوير الواقعى غاية خلقية توقظ روح الفرد . وتتعالى بخلق المجتمع (١) ٠

وعلى ذلك يكون الاتجاه المثالى . والواقعى فى الفنون متكاملين ، أى أن كلا منهما يكمل الآخر . ويشد من أزره . لكن فلسفة الجمال : منها ما هو مثـــالى ، ومنهـا ما هو واقعى . ولكل اتجاهه ، وفلاســـفته ، ورواده (٢) ٠

ومهما يك من شىء فان ربط قواعد النقد بالفلسفة الجمالية يمكن أن يفيد منه النقد فى توسيع آفاق النظر الى الفن والجمـــال . ولا يمكن أن تكون صلة النقد بفلسفة علوم الجمال مؤدية الى توضيح قواعد النقد . لأن نظريات الجمال ما تزال يكتنفها الكثير من الغموض والابهام . ويصعب فيها التحديد والايضاح (٣) ٠

أما افادة علـوم الجمال النقد الأدبى ، ومشاركتها فى اثراء الحركة النقدية فتبدو فى صور مختلفة :

١ ـ منها أننـــا لو استحضرنا معنى الجمال أمام كل عمـــل فنى فسيتضح لنا بدقة مدى الصدق الفنى ، والأصالة الذاتية فى العمل الأدبى من مجرد الزيف أو الكذب فيه . والالهام من التصنع والمحاكاة والترديد ، كما سيتبين لنا من استحضار معنى الجمـــال مدى الحرية التى يمكن أن يتحرك فيها الأدب والفن ، لأن الجمال قيمة لها حدود ، وضـــوابط ،

---

(١) انظر د٠ محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ص ٢٩٨ ٠
(٢) عن المذاهب الأدبية ونقر الدكتور غنيمى هلال . والدكتور محمد مندور فى كتابيهما السابقين ٠
(٣) انظر النقد الادبى ، اصوله ومناهجه للأستاذ سيد قطب ٠

ومقاييس الى حد كبير جدا ، فاذا تصورنا امرأة جميلة فان الجمـــال هنا لا يمكن الا أن يوجد متناســقا بمقاييس عامة اذا زادت عن حـــدها ، أو نقصت عن معدلها الطبيعى ضاعت قيمة الجمال . فالطول ودقة الخصر ، وهيئة الجيد ، واتساع العينين ورشاقة الساقين ، وكل جزئية ، وعضو له حدود اذا ما تجاوزها نقصا . أو زيادة أخل بتناسق الجمال . فنظرية الوسط الفلسفية ترى أن الفضيلة : وسط بين الافراط والتفريط ولذلك نجد كعب بن زهير حينما أراد أن يدل على طول محبوبته سعاد فانه حكم فى نظرته تلك مقاييس الجمال فقال :

غراء فرعاء مصقول عوارضهـا  لا يشـتكى قصر منها ولا طول

لأنه يرى أن الطول البين ، والقصر البين منفران للجمال لا يمكن أن يدلا عليه .

وهذا خلاف ما قال به أبو تمام فى مثل قوله :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت  لها وشحا جالت عليها الخلاخل(١)

فأبو تمام قال ضد ما قالت به العرب ، وهو أقبح ما وصف به النساء، لأن من شـــأن الخلاخل أن تضيق فى الساق ، فاذا جعل خلاخلها وشحا تجول عليها فقد أخطأ الوصف ، لأنه لا يجوز أن يكون الخلخال الذى من شأنه أن يعض بالساق ، وشاحا جائلا على جسدها ، اذ لا يجوز أن يوصف الوشاح بالسعة والطول ليدل على تمـــام المرأة وطولهـا ، وانما يوصف الوشاح بالقلق والحركة ليستدل به على دقة الخصر لانه يتحرك اذا كان

---

(١) الهيف محركة : ضمر البطن ، ورقة الخاصرة ( الوسط ) ، وهو من هيف فرح وخاف هيفـــا وهيفا ، لأن الهيف : الخميصات البطـون . الخلاخل جمع خلخال : الحلقة المستديرة . وشح بضمتين جمع وشاح : كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر وأديم عريض يرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقيها وكشحها .
والكشح : ما بين الخاصرة ( وسط الانسان ) الى الضلع الخلف .

الخصر دقيقا ، والبطن ضامرا • واذا كان الخلخال وشـــاحا للمرأة فانه يأخذ أعلى جسدها كله واذا كانت كذا فقد مسخت الى غاية القماءة والصغر وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكنها تعطى كل جزء من الجسم مايستحقه من الوصف كما قال امرؤ القيس :

طوال المتون، والعرانين والقنا  لطاف الخصور فى تمام واكمال(١)

فلما قال لطاف الخصور قال : فى تمام واكمال (٢) •

وفى الأدب تبدو الحرية فى الشىء الجميل وهى حرية محدودة بحدود ، وقيود كما ترى فالشعر مثلا • وهو أدق أجناس الأدب خضوعا للأصول كثيرا ما يلتزم الشاعر فيه بقيود لا يمكنه الفكاك منها كالوزن والقافية اذ هو أراد أن ينتهى الى شىء من الجودة • وكثيرا ما تسوقه القافية مرغما الى معنى لم يكن يخطر بباله ، ولم يكن بمقدرته الوصول اليه لو لم يكن ملتزما بهذا القيد ، وهنا يصدق المثل الفرنسى ، لا يحيا الفن بغير قيود (٣) •

كما أن اســتلهام معنى الجمال فى العمل الفنى يدعو الى تنســيقه وتناسبه ، وانسجام جزئياته ، وحسن تقويمه ، لأن الشىء الجميل سواء فى صورته العليا ، أو فى صورة المحاكاة للأصل يبقى بطبيعته منسقا ، ومنظما ، ومتناسبا •

---

(١) متنا الظهر : مكتنفا انصلب • العرنين ـ بالكسر : الأنف كله أو ما صلب منه عظمه • قنا الأنف : ارتفاع أعلاه ، واحد بداب وســطه وسيوغ طرفه ، أو هو نتو وسط القصبة ، وضيق المنخرين •

(٢) انظر الآمدى : الموازنة بين أبى تمـــام والبحترى ص ٦٥ ـ ٦٦ طبعة صبيح ب•ت• ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهيف ، وطى الكشح ، ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الأعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والرى والغلظ على نحو قول ذى الرمة :

عجزاء ممكورة خمصـــانة قلق  منها الوشاح ، وتم الجسم والقصب

(٣) انظر د• محمد مندور فى الاد بوالنقد ص ١٣ •

٢ ـ عن طريق علم الجمال يمكن التفـــريق بين الفن ، وظله أو بين الابداع والصناعة التى هى ـ فى رأى كثيرين ـ عدو للفن ، لأنها تبدد بهاء المناظر الطبيعية ولأنها تهدم الأسلوب حين تستبدل به العمل المتتابع (١) . وهنا يظهر الفرق بين الجمال الطبيعى ، والجمال الصناعى ، كما يظهـر الفرق بين الالهام ، والصنعة فى الأدب .

٣ ـ يساعد علم الجمال فى تكوين ملكة الذوق ،وتنميتها فمع أن قواعد علم الجمال كثيرة ومبهمة ، وغير مستقرة ، الا أنها تعد ـ على كل حال ـ معارف عامة . تفيد الناقد فى تربية ذوقه وصدق موهبته النقدية ، وللذوق قيمة كبيرة فى ادراك معنى الجمال وتقديره (١) .

وهذا الذوق هو الذى يجعل الناس مختلفين فى ادراك معنى الجمال ، ودرجته ، لاختلاف الأذواق ، والأمزجة بحسب الزمان ،والمكان ، والأصل ، والاختلاف هنا ليس فى كون الشىء جميلا أو قبيحا ، وانما الخلاف فى درجة التذوق ، وادراك معنى الجمال (٢) .

٤ ـ وهناك ارتباط بين المثل العليا ( الحق ، والخير ، والجمال ) وفى هذا يرى العقاد أن الجمال (٣ ، اذا بلغ أقصى غايته فى النفس لم يصرفها عن الحق والخير .

وفى مجال التطبيق على الأدب لا يتصـــور أن يضحى الأديب بالمعنى الصادق ايثارا لجمال فى الاسلوب ، فان فعل ذلك فلسبب من سببين :

---

(١) انظر د. محمد السعدى فرهود ـ قضايا النقد الأدبى ص ٢١ـ٢٣

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ٢٢ . وهـذا من دلائل عظمة الخالق أن جعل الناس مختلفين فى اللون والسان وغير ذلك مصداقا لقوله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعاملين » آية ٢٢ سورة الروم .

(٣) انظر : العقاد : ساعات بين الكتب ص ٤٤ وما بعدها .

احدهما : أن يكون الأديب نفسه عاجزا عن افراغ ذلك المعنى الصادق فى قالب بليغ جميل ، وفى هذا عجز عن الصـــدق ، وعن الجمـــال فى وقت واحد ·

والسبب الآخر : ان يكون التعبير عن المعنى الصادق بأسلوب جميل مستحيلا اى يكون مقضيا على هذا المعنى الصادق بألا يبرز الا فى قالب دميم من اللغة والأسلوب ، وهو ما لا يقـــول به أحد . فان لكل معنى حظه من الصياغة الجميلة . ولم يوجد ـ بعد ـ المعنى الذى تضيق به الأساليب . اللهم الا اذا كان معنى معيبا منقوصا مشوها (١) ·

ويمكن الانتهاء من كل ذلك الى القول بأن الفصل بين العمل الأدبى ، ودوافعه أمر جد خطر . كما أن العزل بين القيم الجمالية ، ودوافع الشعر ، وبواعثه أخطر ، لأن القيم الجمالية لها علاقة بصدق العاطفة أو زيفها ·

**د· على عبد الخالق على دومه**
المدرس فى قسم الأدب والنقد

---

(١) انظر : د· محمد السعدى فرهود : قضايا النقد الادبى ص ٢٣ ·